ملخص كتاب:

ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان

للدكتور: عبد الله بن سعيد الشهري

جنى المعرفة:

مبادرة هادفة لإثراء المحتوى الرقمي بمنتج ثقافي قيّم، يسهم بزيادة مستوى الوعي والمعرفة عن طريق تقديم الكتب الثقافية من خلال محتوى مرئي ومسموع لكي تكون عناقيد المعرفة بين يديك.






ملخص كتاب: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان

للدكتور: عبد الله بن سعيد الشهري

لو أردنا أن نرسم صورة معيارية لملحد عصري من مجرد كلامه، لتخيلناه شخصًا بلغ به العلم مبلغه، يرتدي نظارات مقعرة، وفي مكتبته آلاف الكتب عن كل ديانة ، وقد قرأها جميعًا، وهو مطلع على كل العلوم، من لدن علوم الصين القديمة، وحتى العلوم الأوروبية الحديثة، ثم هو بعد ذلك يجلس بكل ثقة يقول :"الله ليس موجودًا، هذا أمر محسوم".
في الواقع أن هذه الصورة الوهمية التي يصدّرها الملحد عن نفسه ليست مخالفة للواقع فحسب، لكنها تستمد قوتها من صورة نفسية، ومن ملمح يتسّم به الإلحاد الجديد وهو "الثقة" التي يظهر بها الملحد نفسه كشخص حكيم وصل إلى قرار لا يجدر بذي عقل أن يصل إلى غيره، وهذه الثقة ليست فقط رعناء متهورة ومتعالية كتلك التي كانت في عصر التنوير بل زادت عليها التحلّي والتترس باسم العلم والمنهج العلمي، كما أنها تدعو للانفتاح والحوار مما أكسبها قبولًا كموجة تبشيرية لا كتمثّل عدائي عنيف تجاه الدين، وضمّت إلى هذا سعيًا دعويًا حثيثًا.
بل إن الإلحاد في هذا لا يعدو كونه "دينًا متخفيًا" كما وصفه التطوري : ديفيد سلون ، حيث يقول "يمتلك الإلحاد الجديد كل سمات الدين المتخفي، بما في ذلك حالة الاستقطاب التي تشخّص نظامه الاعتقادي، والذي يمثّل كل شيء على أنه حسن أو سيء، بالإضافة إلى سلطة قادته المتعالية على النقد"، بل إنه حتى فيه جنة متخيلة عند النهاية البعيدة، وهي "عالم بلا أديان" يتحقق فيه كمال الإنسان بناء على مجهوده في التخلص من الخرافة ورفع الجهل بناء على وعيه وتقدمه المقصود.
ولكن هل كان حقًّا هذا التقدم بوعي وإرادة مقصودين؟ أم كان نتيجة لتكاتف عوامل عدّة اتحدت معًا لتشكل حالة الإنسان المعاصر؟ إذ من كان يتصور أن الإصلاح الديني المسيحي سيكون سببًا في بزوغ النظام الرأسمالي؟ (هذه هي الأطروحة الأساسية التي تكلّم عنها عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر -م-) ومن كان يتوقع أن يكون الفتح العربي الإسلامي لأوروبا سببًا أصيلًا من أسباب نهضتها العلمية؟!
فمن أين إذًا جاءتنا هذه الثقة، وهذه النزعة المثالية التقدمية التي يكتسي بها إلحاد اليوم؟
يمكننا إحالة هذه الحالة إلى مرتكزين رئيسين : المرتكز الفلسفي التاريخي المتمثّل في الإيمان بمثالية التقدّم الإنساني، والمرتكز النفسي الوجودي.

هناك الكثير من الروائع في المستقبل : مثالية التقدّم الإنساني.

يتحرك الوعي الغربي عامةً – والإلحاد هنا ليس استثناءً – بفرضية مبطنة مفادها أن الإنسان يتحسّن ويحسّن كلما تقدم تحرّك التاريخ، والتاريخ عندهم يتحرّك بشكل خطي يمثّل سعي الإنسان نحو الانعتاق والتسامي، وأنه في نهاية التاريخ سنصل إلى أمثل حالة ممكنة للإنسان والإنسانية.

ليست هذه النظرة وليدة حدث يتيم، وإنما هي "حيود نفسي عام"، جمع في أسبابه بين: عصر التنوير وما اكتنفه من عقلنة العالم ومكننته، مرورًا بالتصور الهيجلي للتاريخ، وانتهاءً بنظرية دارون التي ختمت على الماضي بختم العار، وحكمت أن المستقبل هو الأمل للبشرية الكاملة الذكية الفائقة!

مثل تلك النزعة فلاسفة كثر أمثال: ماركيز كوندورسيه، أوجست كونت، هيجل، ماركس، نيشته.

فالأول صاغ مبدأ اليوطوبيا المرتقبة، وهي المرحلة العاشرة والخاتمة لمراحل تطور الإنسان والتاريخ.

أما الثاني فله نظرية شهيرة في تطوّر المجتمعات عبر ٣ مراحل رئيسة: المرحلة اللاهوتية ثم الميتافيزيقية، ثم الوضعية التجريبية.

أما هيجل فيرى التاريخ الإنساني كله رغبة في الوصول إلى الحرية، وأن من مجموع إرادات البشر للحرية يبزغ التاريخ.

أما كارل ماركس، فقد أسس مذهب السيرورة التاريخية التي تفضي في النهاية إلى مجتمع مثالي، ولكنه في هذا ينزع من فلسفة هيجل الجانب المتعالي، ويفسّر الوجود تفسيرًا ماديًا خالصًا، وهو ما شكل – أي المادية – رافدًا قويًا من روافد الحركة الإلحادية فيما بعد.

أما نيشته، فهو حالة تمثّل نهاية هذا الزخم العقلاني، والوصول أخيرًا إلى "فلسفة القوة" – "فلسفة السوبر مان".

- **في الماضي لم نكن إلّا قرودًا!**

شكّلت نظرية دارون تأكيدًا من خارج الفلسفة على رؤية أولئك الفلاسفة، حيث جاءت كتأكيد علمي قاطع على مثالية التقدم الإنساني، وأن التاريخ يتحرّك بشكل خطّي إلى الإمام! وإن كان من حق الإنسان أن يتساءل هنا عن مشروعية هذا "التوظيف" الميتافيزيقي لمعطيات العلم الخام – حسبما يفترض – ، وقد احتفى بها العقل الجمعي الغربي أيما احتفاء! ولا عجب، إذ أنها تمثّل انتصاره الأخير! حتى صارت متشعبة في

كل علم إنساني: اجتماع ونفس وأعصاب وأنثروبولوجي وثقافة .. وهذا التوسّع الهائل للإطار التفسيري للنظرية حتى صارت جزءًا من فروع علمية كثيرة دليل واضح على رسوخ العقيدة التطورية في وجدان المؤسسات العلمية المختلفة!

إلا أن هذا الرافد أثرّ أيضًا في الأول سلبًا، إذ أن التطور لا يحدث بشكل خطي كما كان يتصور العلماء، كما أنه لا يحدث دائمًا للأمام كذلك، وبالتالي بات التصور التقليدي للتقدم الإنساني منبوذًا.

- **حرب الإنسانية الغربية الخاسرة**

منذ فجر التاريخ والإنسان فيه نزعة إلى عبادة ذاته و"الطغيان" باسمها وبما اكتسبته من نعم الدنيا، والتفلت من أمر الله وسلطانه، والإنسانية الغربية ليست استثناءً، فقد بدأت فصلًا من فصول حرب الاستقلال عن الله، بدأت من لحظة إدراك الإنسان لذاته كقوة مؤثرة في حركة التاريخ، ووصلت لذروتها عندما وصل عصر التنوير بعقلنته ومكننته، وانحسر التقديس لكل ما هو مقدس، بل تجرأ كل أحد على نقده واستخفاف مضمونه، وبدأ فلاسفة التنوير في نقد أدلة وجود الله المستمدة من المذاهب الألوهية، وانحسرت المذاهب المتألهة مقابل الربوبية واللاأدرية، فكان لا بد هنا من ظهور الإلحاد كخيار فكري، وإن كان لنا من سبيل إلى الموضوعية فسنقول أن هذا ليس فقط غرورًا من الإنسان الغربي، بل إن ضعف الديانة النصرانية، والإرث الأفلاطوني الأرسطي، وما حققه العلم التجريبي من نجاحات وقدرة أداء .. فقد توفرت أسباب لترسيخ هذه العقيدة بشكل أكثر من متوقع ربما!

ورحلة الإنسان الغربي مع أسئلة المعنى واليقين والمعرفة في عصر التنوير يمكن تلخيصها وفق ثلاث فرضيات رئيسية وضعها أشعياء برلين وهي كالتالي :

١- ما من سؤال له معنى إلا ويمكن الإجابة عليه، فإن لم تمكن الإجابة عليه فليس بسؤال.

٢- كل الأجوبة قابلة للاكتشاف والفحص (knowable)، أي يمكن التعامل معها بوسائل يمكن فهمها وتعلّمها.

٣-لا بد أن يحصل التوافق بين مجموع إجابات الأسئلة، إذ لا تعارض إجابة سؤال ما، إجابة سؤال آخر.

وإذًا : مع هذا التأكيد المتواصل على العقلانية والنظر فيما أمامنا وفقط، ومع تحقيق العلوم الطبيعية لنجاحات في تحسين أحوال البشر الدنيوية وما تتمتع به من صرامة موضوعية بعيدة عن ذات الإنسان وتساؤلاتها القلقة ..

وهنا وفي هذه اللحظة تم "فكّ السحر عن العالم" – حسب تعبير ماكس فيبر – وظهر الإنسان ذو الذهن الأحادي أو العنيد، وأصبح العقل عقلًا "أداتيًا" يعتمد على الحس والملاحظة والتجربة، ويخرج الأشياء والأفكار في هيئة يابسة جافة، لا تعنى بالجمال بقدر ما تعنى بحقيقة الأشياء المادية، ليس عندها "المطلق" ولا "القيم" ولا "الأخلاق" ، وتفسير كل شيء بشكل سببي والتخلص من التفسيرات الغيبية لظواهر كوننا المعقدة.

ولن تجد مثل تعبير فيخته عن روح الإنسان الغربي في هذا العصر إذ يقول:

"إنني أعتقد أنني أعرف الآن جزءًا كبيرًا من العالم الذي يحيط بي، ولم أتوان في التحقق من ذلك، إذ أنني لا أصدق إلا ما اتفقت عليه شواهد الحسّ والتجربة، لمست ما رأيت، وحللت ما لمست، وعاودت الملاحظة مرّات، وقارنت بين مختلف الظواهر، وفسرت الواحدة منها بالأخرى، واستنتجت الظاهرة من سابقتها، إنني أتجول بخطى ثابتة في هذا الجزء الذي عرفته من العالم، ولا أضن بحياتي في أي لحظة في سبيل إثبات معتقدي هذا، لكن: من أنا؟ وما هي غايتي؟"

هذا الذي أدى سابقًا لبزوغ الحركة الرومانسية، إذ مثلّت ثورة على الغلو العقلاني الجارف الذي اغتال روح الإنسان وأبعاد الجمال والجلال في النفس والطبيعة والزمان! والتي جعلت الإنسان واقفًا موقف العداء من الطبيعة (تكلّم عن هذا ماكس فيبر أيضًا، حيث قال أن الإنسان اليوم يقف من الطبيعة موقف المريد للتحكم والسيطرة لا مريد الفهم –م–)

- **الذهنية : كلمة السر.**

في وسع أي أحد أن يؤوّل أي منتج علمي تجريبي تأويلًا إلحاديًا، بدءًا من نظرية التطور وصولًا لميكانيكا الكمّ، لكن هذا لا يعني أبدًا أن النتيجة الحتمية للمنتجات العلمية هي = الإلحاد!

فداروين نفسه صرّح أن الإيمان بخالق أمر دانت به أعظم عقول البشرية! وفرانسيس كولينز مكتشف الجينوم البشري تراجع عن إلحاده وقال أنه قرأ في الجينات "لغة الله في الخلق"، والبعض قرأ التطور بشكل موجّه واعتبره سنة الله في الخلق!

بل إن مؤسس ميكانيكا الكمّ: ماكس بلانك قال: "لا بدّ لكل إنسان متعقل أن يعترف بالمكون الديني الذي بداخله، ويسعى في تنميته لتعيش نفسه في تناغم واتزان"، بل إن واحدًا من ألمع الفيزيائيين "ريتشارد فاينمان" قال: "لا يمكننا اليوم أن نعرف إن كانت معادلة شرودنجر تحوي ضفادع أو مؤلفين موسيقيين أو مبادئ أخلاقية، أو أنها لا تحوي شيئًا من ذلك، ولا يمكننا أن نعرف إن كانت تحتاج إلي شيء يقف وراءها —كإله مثلًا— أم لا، لذا يمكننا جميعًا أن نعتنق آراء راسخة في أي اتجاه شئنا!"

قد يوظّف البعض معضلة الشر توظيفًا إلحاديًا، لكن يظلّ أن كثيرًا من الناس يرون فيها ثنائية حكيمة فائقة الدلالة على الإرادة الحرة ومملتئة بالأسرار الأخلاقية العظيمة.

وإذًا: نقول أنه لا عذر لملحد فيما يحتجّ به أنه سبب إلحاده أساسًا، إذ لا رابطة منطقية بين السبب والنتيجة. وذلك لسبب جامع واحد: طالما كان الوجود قابلًا للفهم بطريقة محددة، فالمنطق الطبيعي، والخبرة البشرية تقول أنه دال على خالق يعلم ويفعل لا العكس، وعلى الذي يعاند المنطق الطبيعي والخبرة أن يقدم هو ما ينقض ذلك، لكن طالما لم يحدث ذلك: فالأصل بقاء الأشياء على ما هي عليه!

وإذا فإن ذهنية الملحد، وقابليته لتحويل المكتشفات العلمية أو مشاهدات الوجود إلى مستند لإلحاده هي كلمة السر في الإلحاد، لا هذه الظواهر والمكتشفات نفسها، مهما بلغت مخالفتها للتصور الديني، فإنها لا تقضي بأنه لا يوجد خالق!

- **أن تعبر نفقًا في الظلام : المرتكز النفسي الوجودي.**

عندما بشرّت الحداثة بعالم الإنسان المستوحد العقلاني المكتفي بذاته، وبالتاريخ التقدمي التحرري، لم تكن تدري أن ثمة عواقب وخيمة لمثل هذا، فقد كان الإنسان الغربي يسير في ضوء من الكلاسيكيات الفلسفية اليونانية والتعاليم الدينية المسيحية، وفجأة انقطع هذا الضوء وطلب منه أن يسير وحده بلا مرشد في الظلام!

وبهذا خرج من رحم الحداثة الصناعية العقلانية جيل جديد بربري منبتّ الصلة بالماضي ومجتثّ من أصوله! هذه الآثار المعنوية تركت أثرًا عميقًا في نفس الإنسان، وأدت لظهور "العدمية الشعبوية" التي تحولّت من مدارس الفلسفة إلى شعورٍ عامٍ طاغٍ في الأجيال الغربية التي أعقبت التأسيس الحداثي للأمة الغربية! صنعت هذه الإرتكاسة الحضارية صنعتها في جوانب الحياة المختلفة، فالجانب السياسي المؤسساتي ديمقراطي علماني، والاجتماعي ليبرالي، والاقتصادي رأسمالي نيوليبرالي، والأيدولوجي: ما بعد حداثي!

هذه البيئة النفسية الاجتماعية وجد فيها الإلحاد مزرعة خصبة لإنتاج نفسه في الوعي الغربي، وظهوره كبديل مدفوع بعدد هائل من التشكلات النفسية العميقة التي لا يدري صاحبها أنه متلبس بها وأنها هي التي تدفعه دفعًا لينكر وجود الله أو على الأقل يكون لا أدريًا!

والغالب أن هذا الإلحاد النفسي، تكون الفئة الخاضعة له عاجزة عن سبك تبرير منهجي لإلحادها، ولا تملك تلك الحجج الكافية أو حتى تولّدها تلقائيًا كعادة قادة الإلحاد الجديدة، لكنه لن يفتأ يخبرك أن الإلحاد خيار العقلاء (العقلانية)، وخيار الأحرار (الحرية)، وخيار الإنسان المستقل (المذهب الإنساني)، وهي بالطبع فرضيات كونتها الحالة النفسية المذكورة كما شرحنا، والتي في ضوئها يجد المرء نفسه يقول: الإلحاد هو الخيار الوحيد!

في ظل مناخ عالم اليوم يسيطر على العالم مزاج دنيوي لاديني نسبوي، يروم عقلنة كل الخبرات، وهو في ذاته "سائل" لا يحتوي على مفهوم صلب، بل يعادي بشكل واضح تلك المفاهيم الصلبة وينافر أنظمتها المعرفية، يجد الوعي الغربي – بالخصوص – نفسه على شفا اللادينية واللاأدرية والإلحاد، لأن الدين – والإسلام خصوصًا – بطبيعته يتجاوز الطبيعة المادية الدنيوية، ويخرج منها لأفق أرحب فيه ازدواج بين عالم الغيب والشهادة، وبين الروح والمادة، وبين النفس والعقل، وبالتالي: لا يمكن التلاقي بين هذين النظامين المعرفيين المتنافرين.

خلاصة الأمر: أن الإلحاد وجد بيئة معرفية وبنية نفسية واجتماعية سائلة – من السيولة – تدعم وجوده وتؤكده، بل وتعلن عنه كبديل "واحد ووحيد" لأولئك الذين يعملون عقولهم ويشغلون ذواتهم بالإنسانية!

ولكن هل حقًا يمثّل هذا الاكتفاء النفسي شيئًا من الحقيقة؟ الإجابة : لا!

فلئن كان الإنسان المعاصر قد استغنى عن الدين بفعل التقنية والاكتفاء الاقتصادي والسياسي بعيدًا عن الله، فلقد ظهر في العالم بؤس متجاوز، بؤس الانتحار، وبؤس الشعور بالضآلة الإنسانية وانعدام المعنى، بؤس ضياع الهوية، وتفكك الصلات الاجتماعية، وانهيار الأسرة، بؤس ارتفاع معدلات الفساد والبطالة والتلوث والاكتئاب بشكل غير مسبوق في التاريخ الإنساني كافة!

ليجد الإنسان الحديث نفسه .. وحده .. دون دليل .. في نفق مظلم .. تحت سماء مظلمة .. يسير وحده!

- **طغيان العقلانية الغربية.**

عادة ما يتمّ تقديم الإلحاد على أنه الخيار المنطقي الأخير والوحيد، وأن "العقلانية الغربية" هي التي يجب اتباعها إن أرادت الأمم النهوض، والتي هي بالطبع واحدة من أسس الإلحاد المعاصر كما أسلفنا.

لكنّ السؤال: هل العقل والعقلانية شيء واحد؟ وهل كل "عقلانية" هي ولا بد غربية؟!

الإجابة: لا ، فالعالم ممتلىء كان ولا زال بالعقلانيات المختلفة، الفكرة كلها في "النموذج الفكري – بارادايم" فالغرب له نموذج فكري معرفي هو في مجموعه يسمى "العقل الغربي" بممارساته (كيف يفكر، ويفسر ويحلل ويتصور؟)، وبمضمونه (فهمه للتاريخ وللإنسان وللعالم والعلم والمعرفة والدين والكون؟)، وبقيمه المؤسسة (التحرر ، الاستقلالية ، السيطرة ، القوة ، وتأكيد الذات) ..

ووفقًا لهذا التشريح المبدئي للعقل الغربي، فإنه عقل "أداتي–شكلي" بتعبير ماكس فيبر، لا موضوعي–غائي.. أي أنه يركّز جهده على حاجات ورغبات الفرد الآنية، دون نظر لأبعاد متجاوزة، فهو إذًا يركز في الزمن على "الآن"، وفي المكان على "هنا"، وغير ذلك: لايهم!

ومن هنا انبثق عن هذا العقل نجاحات هائلة في الإجابة على أسئلة في نطاق الوجود "الخاص" لا في "مطلق الوجود".

وهاتان المرتبتان متفاوتتان تمامًا..

فمطلق الوجود: هو علاقة الإنسان "التلقائية" بالطبيعة والوجود، والتي تفرض نفسها عليه منذ الولادة، وهي التي تنتج أسئلة "غائية–موضوعية" مثل: لماذا نحن هنا؟، وهل للكون خالق؟

والوجود الخاص، هو حالة متكلفة يصطنعها الإنسان لنفسه، ويحققها بالافتراضات والدلالات، ويحدد نطاق عملها.. والعقلانية الغربية ابتكرت هذا الوجود قسرًا لتهرب به من الأسئلة المتلاحقة على مستوى مطلق الوجود!

وحققته بأسس مثل: المنهج العلمي – وهو بالتأكيد منهج ناجح جدًا فيما وضع له (وهو مثال صارخ على العقل الأداتي) –، ثم وضع "الوضعية المنطقية" لتضييق نطاق المقولات المبحوثة في مجال العلم ..

كل هذا ليضيّق مجال التساؤل والبحث ويقصره على "الوجود المادي"، وهو كما ترى تحكّم لا دليل عليه، ولا دافع من ورائه إلا الهروب من نطاق الأسئلة الكلية الموضوعية! وهذا التحكم يفتقر إلى دليل في نهاية المطاف، إذ ما من دليل "إثباتي" على أن الوجود = مادة وفقط!

وإذًا – ووفقًا لما قدّمنا أعلاه – فإن العقل الغربي ليس هو "العقلانية الوحيدة"، بل هو من هذه الجهة عقلانية حادثة، تخضع للنقد والتفكيك والتحليل، وكذلك "لإعادة التعريف" لأن تعريف "العقل" يحتاج إلى "نموذج فكري- معرفي" مؤسس، فالعقل الذي ابتنى تصوراته عن العالم على الفيزياء الكلاسيكية – مثلًا – لا يمكن أن يتصور العالم كما تتصوره النظرية النسبية.. لأن النموذج المؤسس يحتاج إلى إعادة تعريف.

باختصار: العقلانية الغربية التي تمارس طغيانها وتدعي احتكار العقل والحقيقة والتي تأسست على "الأداتية- الشكلية" لا "الموضوعية-الغائية"، هي في نهاية الأمر عقلانية ممكنة لا واجبة، وهي عقلانية لها نموذج تأسست عليه، وكل هذا قابل للنقد والتفكيك، وليس صحيحًا أنه هو المنتج العقلاني الوحيد والحتمي- الواجب، وأن من يبتغي العقلانية عليه أن يطلبها على "الطريقة الغربية" أو لا يكون عقلانيًا!

- **غلطة ديكارت: (في التصور الصحيح للعقل).**

عندما يدعّي الإلحاد أنه هو القرار المنطقي الوحيد، وأنه قرار موضوعي كامل غير مستحثّ ولا مستأنسٍ بدوافع النفس وعواطفها، وعندما يدعي العلمويون أن العلم هو الطريق الأوحد للحقيقة، وأن المعارف "غير العلمية" هي معارف "خاطئة"، فإن الأمر لا يعود إلى أمور سطحية كما تبدو من أول وهلة، بل إن مصدر

كل هذه المغالطات المجازفة هو تصوّر خاطئ للعقل منذ البداية، إن فككناه إلى فرضياته الأساسية سنجد الفرضيتين التاليتين:

أولًا: العقل له كينونة وجودية مستقلة (جوهر مستقل) عن الجسد والعاطفة والإنسان.

ثانيًا: المضامين العقلية مضامين "موضوعية" لا ذاتية! أي أن فضاء العقل لا يحتوي شيئًا سوى ما هو موضوعي وفقط.

والفرض الأول كان رأي الفلاسفة قديمًا، وقد صار اليوم تاريخًا يحكى، فلم يعد أحدٌ يؤمن به. وقد كان لعلماء المسلمين قصب السبق في نقد هذا القول ونقض أسسه، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: "المقصود هنا أن اسم العقل في اصطلاح جميع المسلمين بل وجميع أهل الملل وعامة بني آدم يراد به ما هو قائم بغيره، سواء كان علمًا أو قوة أو عملًا بعلم أو نحو ذلك، ولا يراد به ما هو جوهر قائم بنفسه إلا في اصطلاح هؤلاء الفلاسفة"

وقد توصّل عدد من الغربيين بعدها بسنين إلى نفس مضمون الكلام، فقد قال لاكوف وجونسون ما نصّه: "أكثر الناس في معظم الأوقات لا يفكرون وفق نموذج "الفاعل العاقل"، ولا حتى وفق المفهوم الفلسفي للعقل بصفته عملية حرفية ورسمية واعية منفكة عن الجسد وعديمة الصلة بالعواطف. إن التفكير الحقيقي قائم بالجسد (متجسد)، وغالبًا تخيلي ومجازي، غير واع، ومرتبط بالعواطف، ويتركز عادة حول منفعة الإنسان وعن الغايات التي تقضيها منفعته، إن الفكرة القائلة بأن العقل البشري هو عملية ميكانيكية منفصلة عن الأخلاق فكرة خرافية، وضارة بنا عندما نقرر أن نحيا حياتنا وفقها"

ويقول عالم الأعصاب أنتونيو داماسيو: "بالرغم من الأمثلة الكثيرة على دورات التفاعل المعقدة (بين الجسد والدماغ والبيئة) المعلومة الآن، فإن الدماغ والجسد في العادة يتم فهمها على أنهما مفصلان في البنية والوظيفة، والفكرة الكلية القائلة بأن الكائن ككل جسدًا وعقلًا يتفاعل مع البيئة تبدو مخالفة للوهلة الأولى للمعهود من حدسنا"، ويقول: "أنا أقول أن الجسد يسهم بأكثر من كونه شيئًا داعمًا للحياة وبأكثر من إضفاء تأثيرات تعديلية على الدماغ، إنه يسهم بـ"محتوى" هو جزء لا يتجزأ من عمل العقل الطبيعي!"

إذًا: الجسد والدماغ متصلان معًا يشكلان العقل خلافًا للتصور الديكارتي للعقل على أنه شيء منفصل عن

الإنسان وعن خبراته البشرية وعن جسده وعن عواطفه، والتي كان لها بالغ الأثر في الدرس الغربي للمعرفة وللعقل وللغة، حيث يقول لاكوف وجونسون: "لقد تركت نظرة ديكارت للعلم أثرًا حاسمًا في كثير من تصوراتنا المعاصرة حول درس المعرفة وفلسفة العقل وفلسفة اللغة... والدور الذي أسهمت به مجازات ديكارت البصرية في التأسيس لمفهوم انفصالي للعقل"

وإذًا: يتضح أن الفرضان المؤسسان للتصور السابق للعقل خاطئان تمامًا! فلا هو جوهر مستقل، ولا هو جنة من الموضوعية، بل هو يشمل الجسد وتفاعلاته مع البيئة، والعواطف، وكل ما يعتري الإنسان من أمور وعوارض!

فإذا كان العقل ليس جوهرًا قائمًا بنفسه، وإنما قائم بجسد، ولا معنى له إلا بجسد، وإذا كان الجسد ليس مجرد منصة للعقل بل محل له يتفاعل معه وبه، وإن كان العقل عملية حيّة متكاملة وليس برنامج كمبيوتر تعمل كما نريد متى نريد، وإذا كان العقل ليس مجرد ملاذ للأفكار، وإنما ينبوع عواطفنا الفكرية وأفكارنا العاطفية، وإذا كان العقل ليس مجرد آلة منطقية أرسطية وإنما نظام متكامل..

فإن هذا التصور الجديد للعقل له تداعيات وفيرة جدًا على المجالين الفكري والعملي.

أول هذه التداعيات :

أن التفكير والعاطفة ليسا ضدّان، بل متكاملان، فلا تفكير بلا عاطفة، وهي – أي العاطفة – مؤثر قوي في التفكير كما قال داماسيو عن كتابه (غلطة ديكارت): "في بداية هذا الكتاب اقترحت أن العواطف مؤثر قوي في الفكر، وأن أنظمة الدماغ التي تتطلبها العواطف، مودعة في تلك التي يحتاجها الفكر، وأن أنظمة محددة كهذه ممتزجة امتزاجًا مع تلك التي تنظّم عمل الجسد، إن الحقائق التي قدمتها تؤيد في الجملة هذه الفرضيات"

ثاني هذه التداعيات :

لو فرضنا أن الخالق "فرضية" – تنزلًا – فسنجد أنها أفضل فرضية ممكنة بالنسبة للعقل، بجميع مكوناته: تفكير واعتبار، وجدان وعواطف، منطق وأفكار ..

وإن كان الملحد لن ينكر هذا، بل سيقول: بالفعل فرضية الخالق فرضية مريحة جدًا للكثير من الأمم في القديم

والحديث، ولكن ما الذي يمنع أن العقل هو الذي اخترعها؟

فنقول: فرضنا أن فرضكم صحيح، فسنجد أن الخالق هو أفضل فرضية يمكن للعقل اتباعها – بعيدًا عن الوحي – وإذًا فإن مقتضى "العقلانية" المزعومة هو "الإيمان"، وهذا التصرف ليس بدعًا من القول، فما زال العلماء يهرعون إلى أفضل الفرضيات الممكنة والتي تتمع بقدرة تفسيرية أوسع!

وإن قال الملحد: لكن الفرضيات العلمية تحتوي على أدلة وقرائن حسية، فما الذي يجعل فرضية الخالق معقولة ومقبولة؟

قلنا: إن سلّمنا بكلامك، فإن الفرضية القائلة بالخالق تظل هي الإجابة الأفضل على أسئلتنا: لماذا هذا الكون؟ ولماذا أنا الواعي المدرك العاقل بدلًا من غير ذلك؟ ولماذا أنا المتسائل عما وراء الزمان والمكان؟ ولماذا أنا الأخلاقي والإنساني بدلًا من غير ذلك؟ يستطيع أي أحد أن يخرس هذه الأسئلة بأي فرضية يريد، لكن تظل فرضية الخالق هي الأفضل على كافة المستويات النفسية والوجودية معًا.

بل إن هذه الفرضية مدعومة ببحوث علم نفس الأديان، يقول جيمس لوبيا: "من دون شك، ضرورة الصانع مغروزة في الإنسان البدائي منذ وقت مبكّر"

بل إن جاستن باريت – وهو عالم تطوري – درس الأطفال ووجد أنهم "يولدون مؤمنين بالله "، كما أن لديهم قدرة على إدراك أن "الأشياء الطبيعية" من صنع الله، بينما الإنسان يخلق الأشياء المصنوعة.

ومن الفروع لهذا الإدراك لـ"عقلانية فرضية الخالق": أن قرار الإلحاد لا بد أن يكون مدفوعًا من الخلف بحيود نفسي ما! وأنه ليس كما يتم تصويره "خلاصة التفكير المجرّد، والمنطق المجرّد".

ثالث هذه التداعيات :

في تصور الغرب للخالق جلّ وعلا، فإنه لما تصور أن العقل جوهر مستقل خارج عن الجسد، والجسد كضد مقابل له، تصور الله والعالم بنفس الطريقة، فتصوّره إلهًا لا اتصال له بالعالم، ولا وجود له فيه، ولا اهتمام له بأمره، بل خلقه هكذا، ثم وضع فيه قوانينه، ثم تركه بلا عناية! فتصور إلهًا عقلانيًا بالنسبة له لا حاجة له للتدخل في العالم، بعد أن كشفنا عن طريقة عمل العالم من خلال فيزياء نيوتن وعقلانية ديكارت، بغض النظر عن الحاجة العاطفية للاتصال بالله وحاجتنا لمعيته ووجوده والذي هو مكون عاطفي فطري في

الإنسان، فإن هذه الدعوى أيضًا مضادة للمكون المنطقي في العقل كذلك! فإنه يفتقر إلى الدليل المؤسس للمقولة، فإما أن نثبت خالقًا خلق العالم وله به صلة، أو ننفيه، ولكن إثبات وجوده مع إنكار صلته بما خلق فهو ضرب من ادعاء يحتاج إلى الدليل أكثر من احتياج مقولة الإلحاد إلى دليل!.

تنبيه:

إن كنّا قد قلنا أن ديكارت قد أخطأ تصوّر العقل، فإن هذا لا يعني أن هناك تلازم بين هذا التصور وبين الإلحاد، فديكارت نفسه كان مؤمنًا بالله، وغيره من فلاسفة التنوير كانوا مؤمنين، لكن المقصود كان بيان أن حسب التصور الصحيح للعقل، فالعقلاني هو الإيمان لا الإلحاد، وإن كان هذا لا ينفي أن التصور الديكارتي – الأرسطي للعقل قد أدى إلى تشوّه العلاقة بين الخالق والمخلوق عند هؤلاء الفلاسفة أنفسهم، ومحاولة عقلنة العلاقة بينهما، وانتشار التصوّر الربوبي هو نوع من هذا.

- **أزمة العلوم الأوروبية.**

إن كان من شيء واضح وضوحًا جليًا يؤكد عليه التصور الصحيح للعقل، فهو أن تصوّر العلم الطبيعي كشيء موجود في الخارج، يمتلىء موضوعية ويتجرّد من الذاتية ما هو إلا وهم يفرضه العلمويون قسرًا وتحكمًا دون دليل ولا توافق مع صحيح العقل، كما أن افتراض أن مجالات المعرفة محصورة تمامًا فيما يمكن دراسته بالمنهج العلمي هو افتراض يقتل العقل قتلًا..

فالعقل الطبيعي أوسع وأرحب من العقل المادي العلموي، والواقع أكثر رحابة منهما معًا..

وهذا الذي دفع إدموند هوسرل أن يقول أن الخبرة البشرية ليست محصورة في خبرة واحدة فقط هي خبرة العقل العلمي، وإنما أوسع كثيرًا، وبالتالي دعا إلى فقه الأشياء كما تبدو فعلًا دون الهروب القسري والتحكّمي والالتزام بالبعد "الموضوعي" في الدراسة (مما اشتكاه وكرر الشكوى منه الدكتور عبد الوهاب المسيري في مجال الدراسات الإنسانية هو "وهم الموضوعية" وأن الاضطرار لها كلّف كثيرًا من الباحثين الخروج بتفسيرات ضعيفة ومتكلّفة للظواهر، واقترح بدلًا منه أن يكون معيار التقييم هو "القدرة التفسيرية" فيقال: أكثر تفسيرية وأقل

تفسيرية، ودعا للاستغناء تمامًا عن فكرة الموضوعية لضررها البالغ في الدراسة الإنسانية – م –)

وفي هذا انتصار لرأي الفيلسوف الألماني: إيمانويل كانط، الذي قال أن العقل في النهاية محدود بمجموعة من العوامل التي تحكم إدراكه وطريقة رؤيته للأمور، وأن العقلانية الديكارتية عقلانية متخيلة لا تطابق الواقع الذي عليه العقل فعلًا.

كما أنه هدمٌ للمقولة الإلحادية "العلم يقول" التي تثبت ما يشبه وجودًا مستقلًا خاصًا للعلم الطبيعي في الخارج، وأنه "يتصرف من تلقاء نفسه" وهو الأمر الناشيء عن التصور المغلوط للعقل، فالعلم فعل للعقل وحالة له، وطالما أن العقل متأثر بالجسد والعاطفة وغيرها من العوامل، فالعلم مثله تمامًا وتبعٌ له، ولا وجود لأوهام الموضوعية المتخيلة تلك، وهذا اعتراف رجل عالم تطوري ملحد، هو ستيفن جاي جولد، حين قال: "لم تصل السذاجة بأكثرنا إلى حد الإيمان بالخرافة القديمة التي تدّعي أن علماء العلم الطبيعي نماذج مثالية للموضوعية غير المتحيزة! .. نحن ندرك أن التحيزات والتفضيلات والقيم الاجتماعية والمواقف النفسية، كل ذلك يلعب قويًا في عملية الاكتشاف" (تكلّم عن هذا بشكل مستفيض التطوري الكبير أيضًا: ريتشارد لوينتون، في سلسلته المعنونة بـ: "البيولوجيا حين تكون أيدولوجيا"، وهي متوفرة بالعربية مقروءة ومسموعة لمن أراد الرجوع إليها، كما تكلّم عنه أيضًا فيلسوف العلوم الشهير: توماس كون في معرض حديثه عن النزعات الشخصية التي تعتري العلماء في حياتهم المهنية وهو أيضًا متوفر بالعربية، وتكلّم عنها فيلسوف العلوم الشهير كذلك: بول فييرابند، في كتابه "طغيان العلم" وهو كذلك متوفر بالعربية، كما أشير إلى أن الكتاب الذي نحن بصدد تلخيصه – أي ثلاث رسائل – فيه استفاضة عن النوازع الشخصية وعدد من النقولات خصوصًا في التتمة المعنونة بـ "سبق الأوضاع المعرفية على المتصوّرات الوجودية" فليراجع – م–)

وإن ثبت ذلك – أي وجود النوازع الشخصية (الذاتية) في عمل العلماء والمؤسسات العلمية – فإنه يتبعه بؤس المقابلة بين "الذاتي" و "الموضوعي" التي يولع بها كثير من الناس، فإن التصور الصحيح للعقل يقضي بدور مركزي للعاطفة الذاتية وللتصورات الذاتية في عملية التعقل نفسها، أي أن كل "موضوعي" لا بد أن يمر بـ"ذاتي" ما، ولا يوجد خندق فارغ بينهما، وبالتالي فإن عملية "الوصول للحقيقة وإدراكها" هي عملية تبدأ بالذاتي، وتسير إلى الأمام اقترابًا من الموضوعي، وليست عملية "نزع الذاتي" في مواجهة الموضوعي!.

وكل ما ذكرنا يلقي ظلالًا من الشك حول ولع كثير من المتحمسين للعلم في الكلام عن "العلم" و"العلم الزائف" والتفريق بينهما، وهو موضوع ذو مركزية عندما يتكلم الملحد عن "تعارض متوهم" بين العلم والدين، فهو يصنف العلوم الدينية المستقاة بالوحي كعلوم "زائفة"، ولكن لما كانت فكرة الجوهر المستقل للعقل، والوجود الخارجي للموضوعية فكرة غير سليمة، ولما كان العلم الطبيعي لا يتمتع بوجود خاص ولا سلطان خارجي على الأشياء بل هو قائم بالعلماء الذين تحكمهم خبرة ذاتية كأي إنسان.. فإن ذلك يلزم عنه التالي:
أولًا: أن حدود العلم الطبيعي غير واضحة (إذ أن نسبته إلى العقل المحض تبين خطؤها، وبالتالي فنحن عاجزون عن تعريفه تعريفًا جامعًا مانعًا)، وبالتالي فحدود "العلم الزائف" غير واضحة كذلك!
ثانيًا: حصر طرق العلم ودلائل المعرفة في طريق واحد متعذر عمليًا ومرفوض نظريًا.
وبالتالي: فإن حدود وتعريف "العلم الزائف" تسقط .. وهذا مؤدى كثير من كلام فلاسفة العلوم المرموقين، حيث نشر لاري لودان مقالًا قال فيه: "لكي نحسب في عداد العقلاء، علينا أن نسقط من معاجمنا مصطلحات مثل "علم زائف" ، "غير علمي" ، إنها تعبيرات جوفاء تقدم لنا خدمة عاطفية فقط!"
وهذه الملاحظة بالمناسبة اتفق معها فلاسفة علوم مبرزين مثل: بول فييرابند، ونيكولاس ماكسويل وغيرهم.
(أنصح من يقرأ الملخص أن يعود للكتاب نفسه في هذه النقطة لما يحتويه من نقولات عن مجموعة من فلاسفة العلوم ونقاش أوسع للمشكلة، ولا يكتفي بما ورد في الملخص -م-)
وإن كان الأمر كذلك، فإن تصورًا لـ"معركة بين العلم والدين" يسقط فورًا على تخوم مشكلة "الفصل" —كما سماها لاري لودان – ، وهنا يحضرنا قول فيلسوف العلوم كن والبر: "يوجد علم زائف، مثلما يوجد دين زائف، والمعركة ذات الشأن فعلًا، هي التي تنشب بين ما هو حق وزائف منهما، لا بين جنس العلم والدين (...) كثير من الجدل الدائر حول ثنائية "الدين — العلم" عبارة عن تخليط مشوّه، نظرًا لكميات مختلفة من التعاريف التي تتداول من غير وقوف على حقيقتها"

- **قصور المذهب المادي.**

طوّر الفيلسوف ألفن بلانتنجا برهانًا فحواه: إذا كانت العقول نتاجًا للتطور الداروويني لتحقيق غاية البقاء،

فإن هذا يعني أن أحكام العقل إما ثانوية أو لا وزن لها، لأن التطور أصم أبكم أعمى غير آبه بالقيمة المعنوية للأشياء مثل كون فكرةٍ ما "حقًا" أو "باطلًا"، وبالتالي لا يمكن لأحد أن يدعي أنه يؤمن بالتطور وأنه يثق في أحكامه العقلية في نفس الوقت! — وهو بالمناسبة نصّ تخوّف داروين نفسه حيث قال في رسالة إلى ويليام جراهام: "ينتابني شك فظيع حول ما إذا كانت قناعات عقل الإنسان، والذي بدوره تطوّر من كائنات أدنى: تتمتع بأدنى قيمة أو تستحق أدنى ثقة". ولكن في دنيا الواقع — التي هي أرحب من التصورات العلمية — تجد الناس يعطون أحكامهم قيمة، ويثقون فيها، وهو ما لايتأتى إلّا بافتراض موقع إدراكي متميز للإنسان عن المادة المحضة.

- **نقض الإلحاد الإيجابي.**

"سيظل الإلحاد حالة فارغة ومفردة معطلّة عن أية دلالة، ما لم يكن هناك ما يمكن الإلحاد به"

وذلك أن مستويات الوجود تتراوح بين خمسة مستويات:

واجب الوجود ، راجح الوجود ، ممكن الوجود ، مرجوح الوجود ، ممتنع الوجود.

يدّعي الإلحاد الإيجابي أن الله جلّ وعلا "ممتنع الوجود" أي أنه "جزمًا غير موجود"، ولكن لو كان الأمر كذلك فما معنى الإلحاد إذًا؟ هل وجدت يومًا إنسانًا ينازع في عدم اجتماع النقيضين مثلًا؟ لا بالطبع! لأنه ممتنع الوجود! وبالتالي لا يستدعي الأمر تقعيدًا معرفيًا خاصًا لأنها قضية ممتنعة لذاتها! ولو كان الله كذلك، لكان إثبات امتناعه أسهل من إثبات وجوده، بل ستنتفي الحاجة لتوليد "الأدلة" على عدم وجوده.

وعليه، فتنزلًا يمكن أن نقول: أن الله ممكن الوجود، إذ لا يحكم العقل بامتناع وجوده، من جهة عقلية محضة.

وبما أن الله ممكن الوجود — هذا بالتنزل مع الملحد وليس عقيدتنا نحن المسلمين في الله — فممكن الوجود لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات إلا بدليل، وبالتالي نقول: هاتوا برهانكم على "عدم وجود الله" إذ أنه "قد يوجد" و"قد لا يوجد"، واختيارك أنه "لايوجد" لا بد أن يدعمه دليل نافٍ لوجوده!

- **دليل التصميم.**

إن كان كانط، وهو الفيلسوف الذي وقف بشراسة ينقض الأدلة العقلية على وجود الله ويبين قصورها قد قال عن دليل التصميم أنه "أكثرها إدهاشًا ووضوحًا، بالإضافة إلى سهولة فهمه واتساقه مع الحالة الطبيعية أكثر وكونه الأكثر عملية من أي دليل آخر حتى في نظر الفيلسوف" إلّا أن الملاحدة ربما لم يعجبهم أن يكون التصميم آية واضحة من آيات الله في الكون، فقرروا الطعن فيه أيضًا، وقبل مناقشة مقولاتهم، يمكننا إجمال الدليل في أن الكون والمخلوقات تدل على:

تعقيد مشهود ، وتنظيم مرصود ، وغاية معقولة.

والملفت هنا أن الملحدين عادة – وإن كانوا ينفون الغاية – إلا أنهم لا يقدرون على نفي التعقيد والتنظيم، وقد مثّل هذا عبئًا على كثير من الملحدين وغير الملحدين، وقد عبر فرانسيس كريك مكتشف الحمض النووي عن أن مشكلة نشأة البروتين في الخلية مشكلة غاية في الصعوبة، لما يتمتع به من تعقيد "غير قابل للاختزال" بمعنى أنه بدون هذا التعقيد لا يمكن أن يقوم بعمله! بل إن كارل ساجان وهو ملحد شهير قد أقر بوجود مظاهر نظام كثيرة في الكون!

وفي الحقيقة أن هذا إجماع بني آدم، أن النظام في الكون ملاحظ في كل شيء، وأن التعقيد عرض أساسي للموجودات جميعًا..

يعترض الملاحدة على هذا الدليل بأنه "غير كافٍ" للحكم بوجود الخالق، لأن الأمر مرده إلى "الخبرة البشرية"، أي أننا كلما وجدنا شيئًا منظمًا معقدًا، فإننا نستنتج أن له خالقًا خلقه لغاية، لكن من قال أن هذا قانون مطرّد؟

نقول أننا نفرض فرضًا قويًا جدًا، وهو قابل للتخطئة تمامًا، يقول: "كل تصميم وراءه كائن مدرك ولا بد" أي لا يتصور وجود التصميم بالصدفة..

الآن المطلوب أن يوجد "تصميم" دون "كائن حي مدرك" وتنتهي المشكلة! ولا نقول الإنسان، بل أي كائن! فالنحل مثلًا كائن منظّم، وهو مدرك! وبالتالي هذا التلازم موجود في الطبيعة دون الخبرة الإنسانية، فإن كان هذا الفرض قد تواترت عليه الأدلة بمختلف أنواعها، فإنه يكتسب قوة إضافية.. ولم يخرج الآن من أي مكان

في الكون ما ينقض هذا الفرض، وهذا بالمناسبة كان رأي دارون نفسه! فقد قال في رسائله لوليام جراهام: "أن الكون ليس نتيجة صدفة (....) إنه شعور يغمرني بقوة ساحقة"!

ونزيد فنقول أن الخبرة البشرية هي أقل الخبرات عمرًا بمثل هذا القانون – أي التصميم ومظاهره- فنحن تأخر اكتشافنا لقواعد الاتزان التي تسير بها الحيوانات، وقد كانت سببًا في تطوير هندستنا، اكتشفنا التشفير وأجهزة فك التشفير، وهو مركوز داخل كل خلية حية في الإنسان من ملايين القرون! اكتشفنا الذاكرة، وهي موجودة في كل خلية حيّة! وقد التفت إلى هذا المعنى "مايكل دنتون" فقال: "لقد بتنا نرى تقريبًا كل سمة من سمات تقنياتنا المتقدمة ممثلة بنظائرها في الخلية"!

وإذًا فهو قانون ثابتٌ سارٍ قبل أن تكتشفه الخبرة البشرية بردح من الزمن!

- **العجز التفسيري للصدفة.**

يزعم الملاحدة أن مقولة الخلق تقدّم فراغًا تفسيريًا، إذ تنهي مادة الجدل والبحث معًا، ولكن الحقيقة أن الصدفة هي التي تخلق مثل هذا الفراغ، فإن التفسير يعني وجود أسباب علمية يمكن رصدها للظاهرة، والصدفة ليست كذلك، فإن كان الخلق يترك فراغًا تفسيرًا، فالصدفة من باب أولى! هذا أولًا!

أما ثانيًا: فإن القول بالخلق – خصوصًا عند المسلمين – لا يعني ترك طريق البحث عن الأسباب من الأساس، ويفسح المجال للتفسير ولا يغلق بابه، فنحن نؤمن أن "الله" إذا أراد شيئًا هيأ أسبابه!

ثم إن مقولة الصدفة مقولة عاجزة معرفيًا! وإليك بيان ذلك :

إذا كان فهمنا للصدفة محتاجًا إلى "الزمن" أي أنه يقال أنه إذا وجد الزمن المناسب، فإن الصدفة ستخلق كونًا من لا شيء -كما يقول لورانس كراوس مثلًا - ، فهذا يعني أن الصدفة محتاجة إلى الزمن! أي أن "الزمن" سابق على "الصدفة"، وإن كان الزمن سابقًا على الصدفة، فالزمن نفسه يحتاج إلى المادة التي يسري فيها ليحدث "بالصدفة" أن تشكّل هذه المادة العالم الذي نحن فيه! وهذا تناقض! فكيف تفسّر المادة بالمادة؟ أي تفسر المادة بنفسها؟

فإن قيل: "الزمن مستقل عن المادة" قلنا: "هذا تفسير غير مادي، والتجاء إلى ما وراء المادة!

فإن قيل: الزمن شعور نفسي، قلنا: فأين كان الزمن قبل أن يوجد الإنسان أصلًا ليشعر به نفسيًا، وأنت الذي زعمت أن الصدفة محتاجة للزمن؟!

وإذًا يتبين أن الصدفة محتاجة إلى الزمن، وأن الزمن محتاج إلى المادة، فلا يمكن تفسير العالم المادي، بالمادة، أي تفسيره بنفسه! فإن قيل: "المادة هي المادة، لا تفسير لها!"، قلنا: هذا هو ما قلناه على الخالق وأنكرتموه! حين قلنا أنه في ذاته لا يحتاج إلى تفسير! ، وقلتم: لا بد لكل شيء أن يكون مفسرًا وإلا فإنه "غير علمي!".

وإذًا: يلزم من هذا أنه لا يمكن تفسير المادة بالصدفة! لأنه تفسير للمادة بالمادة نفسها في نهاية الأمر!

وقد لخص الفيلسوف الكبير لودفيج فتغنشتاين هذا فقال: "معنى العالم لا بد أن يقع خارج العالم، في داخل العالم كل شيء على ما هو عليه، ويقع كما يقع، في داخله لا يوجد قيمة، وإن وجدت فستكون بلا قيمة ، وعندما تكون قيمة ذات قيمة فلا بد أن توجد خارج نطاق الأشياء والحوادث في ذواتها، ذلك أن وجود الأشياء والحوادث في ذواتها أمر اتفاقي، الأمر الذي يجعله [مقصودًا] لا يمكن أن يقع داخل العالم" وبالتالي فالصدفة إطار تفسيري عاجز معرفيًا عن تفسير وجود المادة، وعن وجود التصميم في الكون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين